٢

حافظ والفرزدق [1]

قال حافظ من قصيدته مخاطباً أمير مصر :

تذكر زين العابدين وجدّه وما كان من قول الفرزدق فيهما

وقول الفرزدق فيها مشهور، ورواية الخبر، انه لما حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام. فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام. فبينما هو كذلك اذ أقبل زينُ العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان من أجمل الناس وجهاً وأطيبهم ارجاً. فطاف بالبيت. فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر. فقال رجل من أهل الشام لهشام : « من هذا الذي هابه الناسُ هذه الهيبة ؟ » فقال هشام : « لا أعرفه » مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضراً فقال « أنا أعرفه » . ـ فقال الشامي : ومن هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهمِ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
هذا ابنُ فاطمةَ إنْ كنتَ جاهلَهُ بجدّه اولياءُ الله قد ختموا
وليس قولكَ «من هذا ؟» بضائرهِ العربُ تعرفُ من انكرتَ والعجمُ

---

(١) همام بن غالب بن صعصعة الملقب بالفرزدق ولد سنة ٣٨ هـ . و ٦٥٩ م وتوفي في البصرة سنة ١٢٠ هـ . و ٧٢٩ م .

هذا هو قول الفرزدق في زين العابدين الذي يشير اليه حافظ والذي تذكره الركن عند استلام العباس له .

تمنى حافظ أن يسير في ركب أميره ، فقال :

ولو أنني خُيِّرتُ لاخترتُ أن أرى لعيسكَ وحدي حادياً مترنما

فلو فرضنا أن الزحام كان شديداً حتى تعذر على أمير مصر أن يصل الى الحجر وكان حافظ قد سار امامه « حادياً مترنماً » بقوله :

مشت كعبة الدنيا الى كعبة الهدى يفيض جلالُ الملك والدين منهما

وفي الركب شمسٌ[1] انجبت انجب الورى فتى الشرق مولانا الاميرَ المعظما

تَسير الى شمس الهدى في طفاوة من العز تحدوها الزواهر أينما

لتنحَّى الناسُ لهذا الامير وشاعره ولو كان فيهم صفوة العظماء وخيرة الامراء

واذا قابلنا بين قصيدة حافظ وقصيدة الفرزدق فقد لا تفضلُ هذه تلك . وشاعر زين العابدين معروف بجزالة شعره وفخامته وشدة اسره حتى قُدِّم على الشعراء الاسلاميين .

وصف الفرزدق ممدوحه بالكرم فقال :

كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهما يُستوكَفان ولا يعروهما عدمُ

ما قال (لا) قط إلاّ في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعمُ

همُ الاسود اذا ما أزمةٌ أزمت والاسدُ اسدُ الشرى والبأس محتدمُ

وقال حافظ

---

(١) صاحبة العصمة والدولة والدة سموّ الامير

حللت باكناف الجزيرة عابراً فانضرتَ واديها وكنتَ لها سَما
دعوا بكَ واستسقوا فلبى دعاءهم من الأفق هتانٌ من المزن قد هما[1]
رجعتَ وقد داويتَ بالجود فقرهم وكنت لهم في موسم الحجّ موسما
وجدتَ وجادت ربةُ الطهر والتقى على العام حتى أخصب العام منكما
فلم تبقيا فوق الجزيرة بائساً ولم تتركا في ساحة البيت معدما

واذا كان الفرزدق قد أجاد وأبدع في مدح أجداد ممدوحه فان حافظاً لم يقصر عنه في هذا الباب أيضاً حيث قال

سليل ملوك يشهد الله أنهم أقاموا عمود الدين لما تهدما
لئن بات بالمجد المؤثل مغرما لقد كان (ابراهيم) بالمجد مغرما
وان نام حب المكرمات فؤاده لقد كان (اسماعيل) فيها متيما
وان سكنت تقوى المهيمن قلبه فقد كان منها قلب (توفيق) مفعما
وان بات نهاضاً بمصر الى الذرى فمن جده الاعلى (علي) تعلما

٣

الامراء والشعراء

« امس واليوم »

كان الامراء قديماً يدّعون ان كرمهم علّم الشعراء الشعر. وكان الشعراء يجيبون بان شعرهم علّم الامراء الكرم. واقد يكون الفريقان صادقين في ما يقولان

(١) المطر الذي نزل على انحاء الجزيرة في هذا العام ساعد الشاعر على ايجاد هذا المعنى

وكان الشعراء بالامس يقفون على أبواب الملوك والعظماء لينشدوهم الشعر ، ونراهم اليوم المقربين الجالسين في الصدر

ولقد نظم شوقي بك هذا المعنى فابدع واجاد . ولشاعر امير مصر ولع بشعر ابن هاني شاعر هارون الرشيد وقد اطلق على منزله في « المطرية » اسم « كرمة ابن هاني » وكان هذا المنزل مزدانا بابهج الزينات ليلة عودة سمو الخديوي من الحج فاتفق ان سموه مرَّ تلك الليلة امام « كرمة ابن هاني » فالفى شاعره واقفاً على الباب فقال له :

« يا شوقي اعجبتني قصيدتك كما أعجبتني زينتك » فارتجل شوقي بك الابيات الآتية التي اشرنا اليها ، كحاشية لطراز البردة :

زينُ الملوكِ الصيدِ مرَّ بزينتي　　كرماً وبابُ الله طاف ببابي
يا ليلةَ القدرِ التي بُلِّغتها　　ما فيكِ بعد اليوم من مرتابِ
ما كنت اهلاً للنوال وانما　　نفحات أحمد فوقَ كل حسابِ
لما بلغت السؤل ليلةَ مدحه　　بعث الملوك يعظمون جنابي
بدران بدرٌ في السماء منورٌ　　واخوه فوق الارض نور رحابي
هذا (ابن هاني) نال ما قد نلتُ من　　حسبٍ نُدلُّ به على الاحسابِ
قد كان يسمى للرشيد وبابه　　فسمى الرشيد اليه وهو ببابي

* * *

أما حافظ فقد مثل بحضرة الامير يوم وصوله وقام في السرادق الفخيم الذي نصبته لجنة الاحتفال في ساحة سراي عابدين فأنشده قصيدته التي سلفت الاشارة اليها . وكان الامير يصغي الى منشده بكل انتباهٍ ،

فيقول بعد كل بيت مدح : « استغفر الله » وبعد كل بيت دعاء : « ان شاء الله . »

فاكرمْ بالملوك والامراء الذين يعرفون قدر الادب والادباء . . .

الصحافة والصحافيون

كان حاملُ القلم كحامل السيف في يمين كليهما سلاحٌ ماضٍ ... وأصبح حاملُ القلم ، في العصر الحديث ، كالقابض على الصولجان : كلاهما نافذُ الكلمة ، مرعيُّ الجانب

ولكن لا يتمُّ ذلك للكاتب ، إلاَّ اذا فهم حقيقةً مهمتهِ ، وأدركَ شرف مهمتهِ . فاذا لم يكنْ « كلُّ من هزَّ الحسام بضارب » فكذلك ليس « كلُّ من هزَّ اليراعَ بكاتبِ » وأبعدُ حملةِ الاقلام نفوذاً الآن هم الصحافيون ، بفضل انتشار الصحف واقبال الكبير والصغير عليها . وعليه يجب ان تكون الصحافة ـ كما قال أحد كبار المفكرين ـ « شجرة الحقيقة يغرّدُ على افنانها الكتّاب الصادقون » وانه ليسرّنا ان ندوّنَ على صفحات « الزهور » كلمتين في هذا الموضوع : احداهما لاميرٍ شرقيٍّ كبير ، والثانية لشريف غربيٍّ خطير

١

قام دولة الامير الجليل حسين باشا كامل عم سمو الجناب العالي الخديوي في إحدى جلسات « مجلس شورى القوانين » ووجهَ الى رجال الصحافة كلماتٍ قلَّما سمعنا مثلها في الشرق من كبرائنا ، قال :

« إن كلَّ امةٍ متمدنة يجب عليها ان تحترمَ الصحافة ، ونودّ أن تكونَ معها يداً في يد ، لتتعلم منها وتستفيد مما ينشرُ فيها من الفوائد ...

نتمنى أن يكون التعليمُ في مصر إجبارياً حتى يصبحَ الكلُّ يُطالعون الصحفَ ويستفيدون منها ويتنوَّرون بما فيها ..

« مكثتُ نحو الثمان سنوات تلميذاً في أوروبا ، فرأيت أنَّ تنوُّر العامة جاء من مطالعة الصحف ..

« الجرائد أكبر من أن تكون مهنة لتعيش أصحابها ، بل هي أشرف من ذلك ولها فوائد عامة عديدة

« اننا نعتبركم جزءاً منا حيث تحضرون جلساتنا وتقبل بارتياح ان تنتقدوا أعمالنا .. وأنتم جميعاً تعلمون مقدار احترامي لكم .. »

٢

وعُقِدَ مؤخراً في انكلترا « مؤتمر الصحافة » فألقى اللورد مورلاي خطاباً نقتطف منه الفقراتِ الآتية :

« الانشاء هو تأليفُ المقالاتِ والكتب الضارة والمفيدة . وهو كالتصوير اليدوي يأتي بالصور الجميلة والقبيحة

« مهنةُ الصحافةِ شريفة وشاقة . قال كارليل : الصحافي ، سواء كان قائداً للرأي العام أم لم يكن ، أليس هو واحداً من حكام العالم ؟

« ولا يُفهمُ بالصحافي من يُحسنُ اللغةَ جيداً ولا من هو كثيرُ التأنق ولا من يُرسل الكلامَ على عواهنه بل الصحافيُّ الحقيقيُّ المفيدُ هو الذي يُحافظُ على ادبِ الكتابة وآدابِ الاجتماع . ويكفي أن تجتمع في المنشىء ، فضيلتان : « معرفة الحقوق والبساطة » . وجوهرُ الصحافةِ والانشاء قائم في ثلاثة أشياء : حسن النية والخبرة والمقدرة

« الصحافـة والانشاء يحتاجان الى روية أكثر من الخطابة . لان ما يقولهُ الخطيبُ ينسى حالا . وأما مايقولهُ الصحافـي فيبقى مكتوباً ليُطالعَ ويراجعَ ويُنتقد . ومثله كلام المنشيء : وانما الصحافيُّ يحتاجُ الى ذكاء متقدٍ والى رزانةٍ اعظم مما يحتاجه المنشيء لانَّ هذا يمكنه ان يراجعَ وان يشاورَ . واما الصحافي فليس له من الوقتِ ما يمكنه من المراجعـة والمشاورة . والمنشيء يُنشيء في موضوعٍ اوفنٍ واحـد . وأمَّا الصحافيُّ فتعرض له كلُّ المواضيع وكلُّ الفنون . فيجب ان يكونَ راجحَ العقل ، كثيرَ الادراك ، سريعَ التحصيل ذا حنكةٍ وحكمـةٍ ليحصل على رضى الجمهور . ويكون رأيه هو الاصح وحزبهُ هو الاقوى ويكون هو المحور الذي تدور حوله الاراء — وعلى الصحافي ان يكونَ فوق الطبيب والفقيه والصناعيّ والعالم والجنديّ والسياسيّ والملك وان يكونَ بعيداً عن اغراض الجميع ، ولا يتخذ الا الحقَّ له غرضاً

«الصحافي ليس خادماً في مكتب ، بل هو مديرُ الافكارِ بوجهٍ عام : واذا خطر له مرةً ان يفضل الجزئي على الكلي ، والعرضَ على الجوهر ، والغرضَ على الحقيقة ، فليتصوَّر ان امامَه الرأيَ العام يكذّبهُ . وحينذاك تتضح له المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه ، ويفهم اهمية مركزه فيحافظ عليه

« الانشاء كلامٌ منزَل كالناموس ، اذا قيل مرةً فلا يجوز بعدَ ذلك إزالة حرفٍ منه . هكذا يجب ان تكونَ الصحافة لتكونَ مفيدةً . والصحافيُّ المفيـدُ هو الذي يقرأ ويُحسن الاستنتاج ، ويفهمُ معنى الاستقلال والمسؤولية

« وليس الانتقاد في شيء من الطعن . ولا يجب أن يخاطب المنتقد بلهجة العداء . والهجوُ هو ما يلجأ اليه الاعداء . وذلك محطٌّ من شأن الصحافة

« والصحافة الحديثة تستدعي العناية بالتهذيب . والتهذيب هو عمادُ السلم والاتحاد والسياسة والاجتماع العصري . ولا يحافظ على الحقوق الا المهذّبون »

﴿ نكبة باريس ﴾

طغى نهر السين على مدينة باريس، فنشر في تلك الربوع الجميلة الدمارَ والخراب ولسنا في حاجه الى ايراد تفصيل هذا الخطب الجسيم ، فقد اطلع القراء على ذلك في الصحف اليومية . واذا كانت عاصمة فرنسا مهبط الجمال وكل فنون الجمال، فيليق بالشعراء ان يسكبوا عليها في مصابها دمعة الاسف :

١

يا فرنسا لا عدمنا منكِ للعلم والفنّ جساما
لطفَ الله بباريس ولا لقيت الاّ هناءً وسلاما
روّعت قلبي خطوبٌ روّعتْ ساهرَ الاحياء فيها والنياما
أنا لا ادعوا على (سين) طغى إنّ (للسين) وان جارَ ذماما
لست بالناسي عليه عيشةً كانت الشهدَ واحباباً كراما

شوقي [1]

(١) من قصيدة له في وصف اسبوع الطيران الذي اقيم في مصر وقد اشار فيها عرضاً الى نكبة فرنسا ام هذا الاختراع العجيب